



ما أعظم أن يعرف المرء نفسه !!

المعنى العلمي لمعرفة النفس، هو كشف ما فيها من مزايا قائمة، وتشخيص ما بها من جوانب الضعف والنقص... وهذا هو الأساس الضروري لعملية بناء الشخصية، وتنميتها، وتطويرها، وعلاج المعطل منها، واستكمال ما فيها من قصور، ومن ثم تحسن صورة المرء لنفسه، فيزداد احتراماً لها، واعتداداً بذاته، وسمواً بها عن الصغائر... وفي نظر زوجته، فتشتد تعلقاً به وإعجاباً... وفي نظر أولاده فيقوى تأثيره عليهم كقدوة صالحه ويؤدي رسالته الأبوية بسهولة وكمال... وفي محيط العمل، فيفوز بثقة الرؤساء أو العملاء، وتقدير المسؤولين... وأمام مخالطيه، فيجد منهم التعاون والتعاطف والاعتبار... وبمعنى أصح، يملك مفاتيح النجاح.

معرفة المرء لنفسه، تتطلب أن يتحقق من صورته في عيون الناس، وكيف تتأثر هذه الصورة بالمظهر والمخبر، والإيماءات، والثقافة العامة. المقصود بمظهر الشخص: ملبسه، وشعره ولحيته وشاربه، وزينته، والمقصود بمخبره: مكنون طويته أو سماته التي يفضحها سلوكه: أناني أم غيور، قاس أم عطوف، موثوق به أم مشكوك فيه، مستبد أم ديمقراطي، مكتف ذاتياً أم نزاع للديون، روحاني أم مادي، متشائم أم متفائل، متكبر أم متواضع، منطوي أم منبسط... ثم هل هو زوج مثالي، موضع فخر لأولاده، مبدع، مقنع، مرهف الشعور، يجيد العمل الجماعي، له حصيلة وافرة من المعلومات العامة؟ وبمعرفة المرء لغيره - سواء بالفراسة أو

بأسلوب الاختبار - يسهل له التعامل مع الناس، ويجنبه كثيراً من المشكلات بل ربما الأخطار.

صورة الشخص أيضاً تتأثر بحركاته، وإشارات، وإيماءاته، ولهجة حديثه - الإيماءات المستهجنة، تخفى وراءها مشاعر الكراهية والعدوان، والميول البغيضة الدفينة في أغوار النفس، كما نشي عن سوء المنبت والتربية أحياناً. والإشارات المستحسنة تكشف عن خلفية عريقة، وأخلاق كريمة، وثقافة عالية، ونفس فاضلة، كذلك لهجة الحديث، إلا أن لهجة الحديث أكثر صدقاً في تحديد البيئة جغرافياً.

لم ينطفئ ظمأ حب معرفة الذات، بأي حال من الأحوال، في أي وقت من الأوقات، بل أصبح هذا الحب نوعاً من الإصرار، حتى أن البعض شك في جدواه. من هؤلاء "أندرية جيد" الذي قال: إن كثرة تفرس المرء في ذاته وعقله يعطل تطوره. وأضاف أن اليرقة التي تتعمق في ذاته لتعرف نفسها جيداً لا تستطيع أن تصبح فراشة، لكن - بصفة عامة - مازال الاعتقاد سائداً، بأننا كلما ازداد فهمنا لدوافعنا الشخصية الكامنة وراء طرق سلوكنا أمكننا التنبؤ بردود أفعالنا، والتعرف على طبيعتها، مما يقربنا من السعادة، أو يجعلنا - على الأقل - راضين عن أنفسنا.

ولموضوع معرفة النفس علاقة بارتداد الحياة المدنية في القرن العشرين، من أهم مظاهر الارتداد، أن الحياة المدنية العصرية تميل إلى إصابة حواس الإنسان بالبلادة، ويعود ذلك بصفة جزئية إلى اعتمادنا على مختلف أنواع الماكينات التي تؤدي لنا ما كان يتوجب علينا أدائه بأنفسنا في العصور الأخرى. نحن نستطيع الجلوس جامدين أمام جهاز التلفزيون. وعلى شاشته نرى مشاهد مجسمة تسرنا وتسلينا، كنا قبل التلفزيون نتخيلها من واقع قراءة الكتب والروايات. هذا يعني أن متعة تخيل الشخص الخفية المقروءة - كما يحلو لنا - لم تعد موجودة. كنا نشترك مع المؤلف بإعادة رسم

الشخصيات وإضافة ما يتصوره خيالنا. وكنا نتمتع بحرية الحركة دون خشية أن يفوتنا مشهد، فنفعل ما نريد، بينما يتحتم علينا أن نجلس أمام الجهاز ونلتصق بالمقعد حتى لا يفوتنا من الرواية مشهد يفسد سياق القصة.

قبل أن يضع حاسب الجيب الآلى حلول أعقد العمليات الحسابية فى متناول أصابعنا، كان محتم علينا إيجاد نوع من العلاقات بين تفكيرنا وبين الأرقام... وقبل المواصلات الميكانيكية، كنا نعتمد على أرجلنا، أو نعقد تآلفاً مع مخلوق حي آخر كالحصان أو الجمل، والرنة والكلب أحياناً، لينقلنا من مكان الى آخر، وكنا نمشى أو نركب فى طرق خيالية بما يكفى لاستجلاء الطريق حولنا، بحيث لا نصاب فى حوادث ازدحام المرور... ليس هذا الكلام من قبيل التذمر ورفض الحياة المعاصرة، فقليل من الناس إذا فكروا بروية، اختاروا لو عاشوا فى أى عصر غير القرن العشرين، ربما كان الشعور بأننا لسنا مغرمين بالانغماس فى الحياة، هو الذى يجعلنا لا نعرف أنفسنا بالقدر الذى كان أسلافنا يعرفون أنفسهم بالسليقة، الأمر الذى أدى إلى نشوء عمليات وحركات تهدف إلى معرفة النفس، وإيجاد التناغم بين علاقات الفرد وعملياته الحيوية، وزيادة قدرته على الإنجاز بما أوتى من الخبرة والذكاء.

فى الكتاب معلومات تجمع بين آخر نظريات علم النفس، وصور الإنسان فى مختلف الحضارات. وقد تطرق فى هذا المجال إلى موضوعات جمة، منها الطريقة التى تؤثر بها صحة الجسم أو ضعفه على العقل، وكيف يمكن قياس الذكاء، ودلالات إشارات الجسم... إلخ .

هؤلاء الذين يشعرون أساساً بعدم التأكد من شخصيتهم، مستعدون لالتقاط أية نظرية تعطيهم الأمل فى إزالة شكوكهم حول أنفسهم، ولذا سرعان ما يبتلعوا النظرية... وهذا خطأ، والصحيح أن نقرأ كل النظريات لتكوين خلفية معلومات جيدة تضيء لك

طريق الذات، وتساعدك على إعادة اكتشاف الدوافع التي تحكم تصرفاتك، وتيسر لك تحليل سلوكك بنفسك، وتحديد موقفك الاجتماعي وطريقة حياتك وأساليب معيشتك... تجوب بك في عالم شخصيتك. وترسو بك في النهاية على مرافئ الحب، والذكاء، والصحة والنجاح.

وفي الكتاب أيضاً ملاحقة لجهود علماء الفراسة في كشف أسرار هذا العلم، منذ وضع "فيثاغورث" بذوره، وترك مهمة العناية بالنبئة إلى "أبو قراط"، و"أرسطو" من بعده، ثم الرازي، وكاسبر لافاتر، وبيل، ودارون، وكريتشمير وغيرهم ممن استهواهم البحث في علم الاستدلال على أخلاق الناس وطباعهم من النفس في مظاهر أجسامهم، وتعبيرات وجوههم، وما يبديونه من أنواع السلوك. ولاشك في أن معرفة أخلاق وطباع الآخرين، أمر لا يقل أهمية عن معرفة النفس، إن لم يكن يزيد... لأن معرفة الأخلاق والطباع والخصائص والسمات، ضرورة لا بد منها، لاصطفاء الأخيار من المخالطين، والوقاية من سلبات الآخرين، ومعاملة كل فرد بما يناسبه، ليتهدى زورق الحياة في سلام ووثام.

أحمد جمال الدين الكاشف



علاقة الجسم بالشخصية



أطوار علم الفراسة

◆ قديمة هي النظرية القائلة بأن جسم الانسان يكشف عن شخصيته؛ التي تمتد جذورها الى أعماق التاريخ. ولعل قدماء المصريين كانوا على دراية بعلم الفراسة، بدليل ما جاء في بعض أوراق البردى التي يرجع تاريخ كتابتها الى حوالي ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد، في عصر الأسرة الثانية عشر.

◆ ويذكر أن الشاعر اليوناني "هوميروس" كتب شيئاً منها في حوالي القرن العاشر قبل الميلاد، وقد جاء في الإلياذة وصفه لترسيتس ما استدل به من أوصافه الظاهرة على أخلاقه الباطنة.

وفي القرن السادس قبل الميلاد، وضع الفيلسوف الإغريقي "فيثاغورث" بذور علم الفراسة.

وجاء بعده "أبو قراط" الذي عاش بين عامي ٤٦٠-٣٥٧ ق.م. وقال: إن البيئة هي التي تشكل الميول، والأخلاق، والألوان، والملامح. وقسم الناس تبعاً لكيمياء الدم الى أمزجة أربعة هي:

- المزاج الصفراوي: حاد الطبع. - المزاج السوداوي: مكتئب.

- المزاج الليمفاوي: بارد جاف. - المزاج الدموي: مرح.

◆ وذكر المؤرخ اليوناني "يوسيفوس" أنه استنتج نفاق الإسكندر الأكبر من النظر إلى خشونة كفيه.

◆ وكتب "جالينوس" الفيلسوف اليوناني بإطناب في علم الفراسة.

◆ نسب بعض الباحثين نظرية الأخلاط أصلاً الى الفيلسوف "السيمون" وقالوا: إنه ربط الصحة الجيدة بتوازن الأخلاط التي تتكون من سوائل الجسم، وهي: الدم، والبلغم، وإفرازات المرارة الصفراء، والسوداء. فإذا تغلب أحد هذه السوائل، وزادت نسبته في الجسم عن السوائل الأخرى، نتجت شخصية السائل الغالب: الدموية بزيادة الدم، والسوداوية بزيادة السوداء، وغير ذلك.

نظرية أرسطو: ولعل أول كتاب في علم الفراسة، كان محاولة منسوبة الى "أرسطو" في القرن الرابع ق.م. عنوانه "الفراسة" يضم ستة فصول. يصف فيها مختلف أعضاء الجسم، ويزعم أنها تكشف الأخلاق والطباع، وعرض فيه كيف أن للشجاعة

والجبين، والحماقة والحكمة، والذكاء والغباء والقوة والضعف، علامات في الجسم تدل عليها، كما تشير إليها أيضاً: الملامح، والألوان وأشكال الأعضاء والقامة والشعر والصوت، ومقابلة أوجه الناس بأوجه الحيوانات، وإطلاق أخلاق الحيوانات على شبيهه الإنسان.

◆ هناك من يرجحون أن "أرسطو" ليس المؤلف الأصلي، وأن المؤلفين الحقيقيين نفر من تلاميذه، جمعوا المعلومات من فحص واختبار الحيوانات المعينة، وحلّلوا الخصائص الجسدية المشتركة، والإشارات، والحركات، والألوان، وتعبيرات الوجه، ونحو الشعر، وحالة الشحم واللحم، وبنية الجسم بشكل عام. وقادهم هذا النوع من الملاحظة والربط بين الخصائص والحركات والسّمات إلى عدد من الأحكام الثابتة، منها مثلاً أن:

◆ للشخص الشجاع قامة معتدلة، وشعر خشن، وعظام ضخمة قوية، وبطن عريض مسطح، وعنق نحيل، وصدر عريض ممتلئ، وعيون براقّة، وجلد جاف، وجبهة صغيرة مستقيمة، لا هي مجمّدة، ولا هي ناعمة جداً.

الرجل النموذجي في نظره، هو الذي يشاطر الأسد في كثير من صفاته: فم وسيم الشكل، وجه مربع غير بارز، أنف يميل إلى الغلظة، عيون عميقة براقّة، لا هي مفرطة الاستدارة ولا كثيرة الاستطالة، جبهة مربعة غائرة قليلاً من الوسط معلقة كالسحابة فوق الحاجبين، والرأس متوسط الحجم، والرقبة طويلة عريضة، وشعر العنق أسمر مصفر لا هو جاف ولا مجمّد، والكتفان قويان، والصدر عريض، والجذع قوى مرّن، لا شحم على جانبي الفخذين، والأرجل مستقيمة، والجسم كله خال من الشحم الزائد، يمشى بتأن، ويتحرك برشاقة، مظهره الخارجى إجمالاً يدل على سجايا كريهة نبيلة متسامحة، يحب الانتصار، ولكنه عادل لطيف المعشر؛ عطوف على الآخرين.

المرأة المثالية تمثلت صورتها في النمرة. أشجع إناث الحيوانات، فهي المرأة الشجاعة التي تشبه النمرة تماماً: صغيرة، تفيض خفة ورشاقة وحيوية، قوية الحواس، مخادعة، تزيد على الرجل خداعاً، وتقل عنه شجاعة.

وناقش كتاب "الفراسة" لأرسطو خصائص أخرى موضحاً مدلولاتها، منها:

◆ الشعر الصوفى يشير إلى الجبن.

◆ المشى بثبات العجز مع الأكتاف، دليل التبجح.

◆ انحناء الأكتاف مع الميل إلى الأمام أثناء المشى دليل على قدرات عقلية عظيمة.

وسواء كان "أرسطو" هو الذى ألف كتاب "الفراسة" أو تلاميذه، فإن أرسطو هو الذى فاز بلقب ريادة هذا المجال.

رأى بولون: جاء "بولون" في القرن الثالث قبل الميلاد، وترأس أكاديمية "أثينا" وألف كتابا شاملا، يحتوي على حوالي سبعين فصلا عن الفراسة بكل جوانبها. تناول في الفصل الثاني منه أوجه التشابه بين الإنسان وما لا يقل عن ٩٢ حيوانا، ثم مضى يخصص فصولا لكل أعضاء الجسم تقريبا: من قمة الرأس إلى أخمص القدم. كما وصف مختلف درجات لون الشعر والبشرة، وذكر معاني نمو أو عدم نمو الشعر على مختلف أجزاء الجسم، وقدم مختلف أوصاف أنماط الرجال، وما تكشفه علامات أجسامهم الخارجية من خصائص داخلية. واستعرض في الفصلين الأخيرين بزهو، كيف أن الإغريقي أنقى أجناس الرجال، وأضفى عليه أوصافا تفصح عن تعصب واضح.

الملاحظ أن كلا من "أرسطو" و"بولون" أوليا في كتابيهما اهتماما كبيرا. جالين يضم النظريتين: في القرن الثاني الميلادي أدلى "جالين" بدلوه في دراسة الفراسة. ضم نظرية الأخلاط لأبي قراط، ونظرية العناصر الأربعة "لأهميدوكلس" من جهة، إلى نظرية "أرسطو" عن دلالات أعضاء الجسم، في محاولة جادة لربط خصائص الإنسان بنفسيته وتوازن أخلاطه معاً. وهكذا نشأت علاقات معقدة بين الكون اللاهائي الكبير، والإنسان ذلك العالم الصغير. وفي الوقت نفسه تكرر بحث هذه النظريات وتطويرها، بواسطة عدد كبير من فلاسفة الإغريق والرومان. وظهرت أفكار جديدة عن المظهر والخصائص وأمكن تصنيف التنوع اللاهائي للبشر إلى نوعين:

◆ أفقيون، أكثر عددا.

◆ ورأسيون، أكثر مادية وواقعية.

وظلت علاقة الظواهر الجسدية بالظواهر النفسية موضوع اختبار وتجريب العلماء. وثبت بطلان ما ذهب إليه نظريات الأخلاط.

الفراسة عند العرب: اعتقد عرب الجاهلية بأشياء من قبيل الفراسة هي:

◆ القيافة: وهي الاستدلال على أحوال الإنسان بالنظر إلى جلود الناس، وهيئات الأعضاء، خصوصا الأقدام، وكذلك الاستدلال بذلك على الأنساب.

◆ الريافة: وهي معرفة مدى عمق الماء في باطن الأرض، بشم التراب، ورؤية النبات والحيوان، ومراقبة حركاته.

◆ العيافة: وهي تتبع آثار الأقدام والحوافر والأظلاف والأخفاف في الطرق الرملية والطينية وغيرها مما تشكل بشكل القدم.

◆ الاختلاج: وهو الاستدلال على ما سوف يحدث لإنسان من النظر إلى اختلاج أعضائه من الرأس إلى القدم.

♦ وإلى جانب ذلك كان العرب في الجاهلية يعتقدون في ميتافيزيقيات: كالكهانة، والعرافة، والنجامة، والتطير، والتفائل والتشاؤم، وقد حرم الإسلام تلك، بينما لم تعترض مبادئه على الفراسة باعتبارها استدلال بالأحوال الظاهرة على الأحوال الباطنة للإنسان، وهذا يشجع العلماء المسلمين على دراسة الفراسة من حيث: قراءة ملامح الوجه، ولون الشعر والبشرة، وشكل الجسم والأطراف، وطريقة المشي والصوت، وإيجاد أوجه الشبه بين الإنسان والحيوانات، وعلاقة ذلك بالخصائص المشتركة، وتحدثوا عن الأخلاق بوجه عام. من هؤلاء العلماء: الرازي، وابن رشد، وابن سينا، ومحمد بن الصوف، وابن القيم، والشافعي، وابن عربي، وأبي عبد الله شمس الدين الأنصاري، ومحمد بن غرس الدين خطيب الحرم النبوي، وزين العابدين المرصفي. نقلوا علم الفراسة عن اليونان والرومان، وألفوا كتباً مستقلة، أصبحت فيما بعد مراجع لعلماء أوروبا في القرون الوسطى.

فراسة الإمام الرازي: يعتبر الإمام فخر الدين الرازي من أغزر علماء المسلمين بحثاً في هذا المجال. عاش ما بين عامي ١١٥٠-١٢١٠م. لخص كتاب أرسطو وزاد فيه. وأفرد بين مؤلفاته الكثيرة كتاباً بعنوانه "الفراسة". يتكون من ثلاث مقالات:

♦ **الأولى:** تعريف الفراسة والمزاج، وبيان فضيلة هذا العلم في القرآن والسنة والفعل، وإيضاح أقسامه: وعرف موضوع الكتاب بأنه الاستدلال بالأحوال الظاهرة في الجسد على الأحوال الباطنة. ثم بين وسائل الاستدلال، وسلط الضوء على "صناعة القيافة"، وهو الاستدلال على معرفة الإنسان، وحصول النسب، وآثار الأقدام، وتقصى الأثر. وشرح طرق معرفة أخلاق الناس.

♦ **الثانية:** عدّد الرازي في هذه المقالة علامات الأمزجة الكاملة، ليتوصل بها إلى معرفة كل من: الاعتدال، والاختلال.

♦ **الثالثة:** تناول فيها دلالة الأعضاء الجزئية، على الأحوال النفسية، في سبعة عشر فصلاً.

مايل سكوت: كان يعمل في بلاط الملك فردريك الثاني. ألف كتاباً عن الفراسة، تأثر فيه بقراءته لكتب العلماء العرب، التي كانت قد ترجمت في ذلك الحين إلى اللغات الأوروبية، صدر الكتاب عام ١٢٧٠، وجاءت مادته خليطاً من الفراسة وعلوم نسك والتوقع.

اختبارات دي هورت: ألف "جوان دي هورت" عام ١٥٧٥ كتاباً عن "المسيولوجي والسايكولوجي تحت عنوان "اختبار مواهب الرجال"، وهو مبني على اعتبار فرضية قديمة مؤداها: أن للبرد تأثيراً سيئاً على العقل، بينما الجفاف يزيد القدرة

على الفهم، والرطوبة تجعل الذهن مرنا، فتساعده على وضوح الذاكرة، كما أن الحرارة تنشط الخيال. لذا فإن سمو الإنتاج العقلي يتطلب خلط الأنواع بنسب متوازنة حتى في التزاوج.

واعتقد "هورت" بوجود علامات لهذه النسب. فالجراة- مثلا- إشارة مؤكدة إلى حرارة زائدة، يستتبعها نشاط زائد، وسعة خيال .. واليد الرطبة أو زيادة رطوبة العينين، تعنى التردد وعدم استقرار الرأى... والأيدى أو الأقدام الباردة، تعنى قدرة ذهنية محدودة.

وغطى "هورت" بنظريته أبعاداً تربوية، فقال: إن النساء يتصفن بالبرد والرطوبة. ولذا فإنهن محدودات الفهم والخيال، بينما يتميز الرجال بالحرارة والجفاف. وأضاف أن معرفة الخصوبة تتوقف على قياس درجة الجفاف والحرارة بعناية، وكذا البرودة والرطوبة. وأوصى بضرورة مواءمة هذه النسب بدرجاتها عند التزاوج.

وقال: "المرأة الباردة الرطبة، ذات الإشارة الماكرة، والحالة السيئة، والصوت المزعج، واللحم الكثيف، واللون الأسمر، والشعر الغزير، تحمل من رجل طيب الأحوال، مليح الصوت، أبيض البشرة، هادئ الطبع، دم الخلق، خفيف الشعر".
وقال هورت: إن للصوت دلالات على الشخصية أيضا:

◆ **الصوت الطلق العذب:** يشير إلى المرونة، وحسن التكيف مع الظروف الاجتماعية و العكس بالعكس.

◆ **الصوت الخشن المعرفى:** دليل على الميل إلى العصبية.

◆ **الصوت اللاهث متلاحق الأنفاس:** دليل على عدم الاستقرار الوجدانى، أو البؤس العاطفى، و الضياع الاجتماعى.

◆ **الصوت الأنفى المنتحب:** أصحاب هذا الصوت على قمة المرشحين للأمراض العصبية و النفسية.

واهتم "هورت" بدراسة لون البشرة وعلاقتها بقياس درجة الحرارة والجفاف عند الرجال، ومدى ما يعنيه ذلك من خصوبة أو عقم. وفيما يلي مثالين عن الألوان ودلالاتها:

◆ إذا كان لون الجلد بنيا محروقا، أو أسمر يشبه الرماد، كان الرجل على الجفاف والحرارة.

◆ إذا كان اللون أبيض، كانت الحرارة قليلة، والرطوبة كثيرة.

وللشعر دلالات على المزاج:

◆ شدة سواد الشعر وطوله على الضلوع حتى السرة، علامة على قدر كبير من الحرارة والجفاف.

◆ إذا امتد الشعر إلى ما فوق الأكتاف، يمثل تأكيداً على عنصر الرجولة.

◆ إذا كان شعر الرأس واللحية كستائياً، طرياً، ناعماً، دل ذلك على حرارة وجفاف أقل.

لقد زواج "هورت" بين الرجال والنساء على الأساسين: المزاجي والجسماني معاً، مستخدماً في ذلك فرضية قديمة راجت أفكارها في القرنين الأول والرابع بعد الميلاد، وهي "التزاوج في الكاماسوترا".

هذه الفرضية قسمت الرجال من حيث حجم الأعضاء التناسلية إلى: أرنب، وثور، وحصان. وعلى نفس الأساس قسمت النساء إلى: غزال، وفرس،

◆ الزواج المثالي، يتم بين طرفين متقابلين من نفس الدرجة.

◆ الزواج العالى، زواج امرأة برجل ذى عضو تناسلى أكبر.

◆ الزواج المنخفض، زواج امرأة برجل ذى عضو تناسلى أصغر.

معنى ذلك أن:

◆ الحصان والفرس يتمتعان بزواج عال.

◆ الحصان والغزال يتمتعان بزواج أعلى.

◆ الأرنب مع الفرس يكونان زيجة منخفضة.

◆ الأرنب مع الفيل زيجة أكثر انخفاضاً.

هذه التقسيمات وضعت على أساس المتعة الجنسية، أكثر مما هى لاحتمالات الحمل، وقد قسمت الرجال والنساء على السواء إلى فئات من حيث قوة الشهوة الجنسية إلى: صغيرة، متوسطة، وشديدة.. وحسب وقت الجماع إلى: قصير ومتوسط، وطويل.

لذلك فإن تزاوج الأرنب والغزالة- وهما من نفس درجة الشهوة، وطول وقت الجماع هو التزاوج الأكمل والأنسب، بينما الأرنب طويل وقت الجماع والفيلة قصيرة الوقت، كبيرة حجم العضو، يمثلان كارثة زوجية.

وعلى أى حال فإن نظريات علم الفراسة وعلم وظائف الأعضاء، تؤكد أن مثل هذا الكلام، لا يرقى إلى مرتبة البحث العلمى، وأنه مبنى على التخمين. كما تؤكد أن اتخاذ حجم الأعضاء التناسلية سندا لمعرفة الخصائص منهج مضلل. وما من بحث فى

الشرق أو في الغرب، وضع في الاعتبار، تزواج إلفين بقصد المتعة الجنسية وحدها، ولا جعل لها أدنى أهمية. ولعل ذلك يعد التزاما بالشرائع السماوية التي ربطت الجنس بالزواج، وجعلت الزواج سبيلا إلى العفة، والتناسل، وحفظ الأنساب، لا مجرد اللذة والمتعة.

روبرت بورتون والميلانخوليا: في أوائل القرن السابع عشر جاء علماء السيكوسوماتي - طب الأمراض الجسدية الناشئة عن اضطرابات عقلية- فأثبتوا بطلان ما ذهبت إليه نظريات الأخلاط من أوصاف. بينما ظل غيرهم من العلماء على احترامهم لنظريات الفراسة والأخلاط، حتى العصر الحديث.

كتب "روبرت بورتون" في مؤلفه "علم تشريح الميلانخوليا" عام ١٦٢١، يشرح النظريات السابقة، بقصد تشخيص الميلانخوليا وعلاجه، على أنه داء فطري، يصيب كل إنسان. وجاء وصفه لأنواع الأخلاط أكثر وضوحا وتفصيلا من النظرية ذاتها.

◆ كتب عن البلغمى يقول: الرجل البلغمى كسول، ميال للنوم، بارد الطبع، جاف، بليد الحس، أحمق، سريع البكاء. يحب الماء أينما كان في البرق والبحيرات والأنهار، مغرم بصيد السمك، يميل إلى الشحوب، يعاني من الصداع كثيرا. يعاني من إفرازات العين والأنف أكثر من غيره. قليلا ما يرفع عينيه عن الأرض.

◆ وعن الدموى يقول: جسور، وقح، حاد الطبع، يميل إلى العراك، دائم التنكير في القتال. الرجولة هي التحدى في نظره، عجول، قاس، عنيف، مخز في تصرفاته، لا يتورع عن القتل أو الانتحار.

◆ والسوداوى في نظر بورتون: حزين عادة، دائم العزلة، شكاك، خواف، فاسد الخيال، مكتئب يعاف الصحبة، يحلم بالمقابر والموتى، يعتقد أحيانا أنه ميت أو مسحور. يظن أنه يسمع أصواتا غامضة، وأنه يرى رجالا سود يتحدث معهم. يتخيل أنه يتحدث مع الجن في ألفة.

◆ تفاصيل أعضاء الجسم عند توماس هيل: في القرن السابع عشر أصدر مؤلفون أوريون كتبا كثيرة عن الفراسة، اعتمدوا فيها على العلماء الأوائل، ولم يجيدوا عن مسار نظرياتهم إلا بشيء من التفتيح والتوضيح وتوليد ما لديهم من وجهات نظر. من هؤلاء المؤلفين "توماس هيل" عام ١٦١٣ إذ أصدر كتابا عنوانه "تاريخ سار". فصل فيه - بنظام - أعضاء جسم الإنسان من الرأس حتى القدم - واهتم بالتفاصيل أيما اهتمام. من ذلك ما قاله عن الركبة مثلا:

◆ "الركبة كثيرة الشحم، تشير إلى شخصية مخيفة، إباحية، عقيمة، مغرورة غير منتجة".

◆ "الركبة النحيلة قليلة اللحم، تشير إلى شخص قوى، جسور، كثير التحمل للمشاق، كتوم. قادر على المشى مسافات طويلة".

انحراف الفراسة في أوربا: لم يكتف بعض أصحاب علم الفراسة في القرون الوسطى بالاستدلال على الأخلاق والقوى من الملامح والأعضاء، بل انحرفوا به إلى التنبؤ بالغيب. واتجهوا إلى الاستدلال بخطوط الكف، وتجاويد الجبين، وأشكال الأعضاء، على مستقبل الشخص من سعد أو نحس. وخلطوا بين الفراسة والتوقع وغير ذلك، فأصبحت من علوم الشعوذة الخرافية، وتفشى خطرهما في أوربا، مما جعل جورج الثاني ملك إنجلترا، يصدر أمراً بجلد كل من يتبنى هذا العلم أو يتعامل به. وانضم إليه كثير من الحكام ورجال الدين، فقلت ثقة الناس بالفراسة، وكاد يختفى نتيجة لعدم الاهتمام به.

ظل الحال على ما هو عليه من خمود حتى ظهر "بيتيماهورتا" الإيطالي في أواخر القرن السادس عشر، وكتب رسالة في الفراسة الإنسانية شرح فيها حقيقة هذا العلم، ونقاه مما علق به من خرافات، وسار على دربة كثيرون ولكنهم لم يوفوا الموضوع حقه.

الوجه والمظهر عند جون كاسبر لافاتر: باحث ألماني من "زيورخ". بحث في هذا العلم بحثاً طبيعياً مبنياً على الفسيولوجيا والتشريح ونواميس الأخلاق وأصدر كتاباً عام ١٧٧٢، وجه فيه انتباه العلم الحديث إلى الفراسة، برصفها وسيلة الكشف عن خصائص وطباع الشخص، بمعاينة وجهه ومظهره العام. يتولى الكتاب على ٥٠٠ صفحة وحوالي ٦٠٠ صورة لرؤوس أشخاص كنماذج. لا يخلو الكتاب من بعض الأخطاء، وهذا لا يعيبه، لأنه خلاصة مطالعته وملاحظاته الخاصة عن طريق البحث، وكل بحث يحتاج إلى تنقيح. ويكفي "لافاتر" فخراً أنه قدم أول كتاب استوفى بحث الفراسة، وتأثر به علماء كثيرون من أتوا بعده، من بينهم "بيتر كامبر" خبير التشريح الألماني، الذي حاول قياس الذكاء بزوايا الوجه. و. منهم من استدر كوا ما أصاب بعض أحكامه من أخطاء، وعلى رأسهم "صموئيل ولس"، الذي أصدر في نيويورك عام ١٨٦٦ كتاباً وافياً من ٨٠٠ صفحة تقريباً، وألف رسم.

نتوءات الجمجمة عند: جال: "جال" عالم فرنسي عابه الاتجاه إلى الدجل العلمي. ربط علم الفراسة بالصبغة التشريحية، وقدم عام ١٨٠٠ علم قراءة نتوءات الجمجمة. تعتمد نظريته على أن المخ هو مكان العقل، وأن قوة العقل تنقسم إلى قدرات محدودة العدد، كل منها تستتر في مكان محدد من المخ. حجم هذا المكان يحدد مساحة القدرة المستقرة فيه ونسبتها إلى القوة العقلية. وقال "جال": إن التشابه قريب بين مظهر

الجمجمة الخارجى، والمخ داخلها، بحيث يمكن التعرف على أى الأماكن كبيراً كان أو صغيراً على سطح المخ. وعلى هذا الأساس قسم "جال" سطح المخ إلى حوالى ٣٥ منطقة، كل منها مختصة بقدرة عقلية معينة، مثل: القدرة على العراك، أو الخداع، أو حب التقليد... إلخ.

حدد "جال" نتوء معيناً فى رؤوس النساك، وافترض وجود ملكة التدين تحته. ولاحظ أن الشعراء يضعون أصبع السبابة فى مكان على جانب الجبهة، فقرر أن ملكة المثالية تختفى تحته.

تقسيم المخ بهذا الشكل يتنافى مع أبسط المبادئ العلمية فى تشريح المخ، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم النفس، مما أدى إلى سوء سمعة هذه الطريقة فى الاستدلال، ومن ثم اندثارها.

فراصة التعبيرات عند بيل، وسينسر، ودارون: اهتم بالتعبيرات وآثار الانفعالات على الوجه خلال القرن التاسع عشر ثلاثة علماء:

◆ "سير شارلز بيل": عالم التشريح الأسكتلندى، درس تعبيرات الوجه، وهو أول من درس الفراسة على أساس فسيولوجى. ألف كتاباً عنوانه "مقالة عن تشريح التعبيرات". وهو أول كتاب علمى عن المظاهر العضوية للانفعالات، يشرح تأثير الانفعالات على العضلات المختلفة. وكيف تظهر التعبيرات التى تدل على عواطف وانفعالات معينة. صدر هذا الكتاب عام ١٨٠٦

◆ "هيربرت سينسر": أصدر عام ١٨٥٥ كتاباً عن علم النفس، شرح فيه العلاقة بين الحالة النفسية، والمظاهر الجسمانية.

◆ تشارلز دارون: سار على درب سينسر. ألف كتاباً عنوانه "التعبير عن الانفعالات" عام ١٨٧٢. تحدث فيه عن العلاقة النسبية بين بعض الأفعال والحركات المعقدة، وبين تأثيرات عقلية معينة، وعن العضلات التى تتحكم فى تعبيرات الوجه، والتى تسبب ظهور ثنيات وتجاعيد فيه، وعن انتقال بعض تعبيرات الوجه بالوراثة، إذا وجدت ميولاً عقلية موروثية. ويعتبره البعض واضع أسس علم الفراسة الحديثة. ومن ناحية أخرى تعرض لنقد مرير من العالم الإيطالى "باولو مانتيجا، ندا" رئيس الجمعية الإيطالية للأنثروبولوجى.

الوجه عند هارتلى: صدر خلال القرن التاسع عشر كتب -تريب، تحسوى على قواعد ومبادئ، تعلم الشخص كيف يقرأ أخلاق وطباع جيرانه والمتعاملين معه، عن طريق معاينة وجوههم. من بين هذه الكتب، كتاب "الوجه والشكل" ألفه "هارتلى" عام

١٨٨٥. وفيه يعلم القارئ كيف يتأمل الجبهة، والعينين، والحاجبين، والأنف، والفم، والشفيتين، والشعر، واليدين، والشكل العام، مع التركيز على الجبهة. وقال:

- ◆ راقب الجبهة أكثر من أى ملامح أخرى إذا أردت اكتشاف طباع الرجل.
- ◆ كلما كانت الجبهة طويلة كان الشخص أكثر قدرة على الإدراك والاستيعاب.
- ◆ ذو الجبهة القصيرة، أو المجددة، أو المعقودة، أو المضغوطة إلى جانب واحد، عاجز عن عقد صداقة معمرة.

وعن دلالات الحواجب قال:

- ◆ الحواجب الغليظة المعقودة، ترمز إلى عقل مطابق للوصف.
- ◆ الحواجب البرية المعقودة، لا تتفق مطلقاً مع طباع لينة لطيفة مرنة.
- ◆ الرجال ذوو القوة الفكرية، حواجبهم كثيفة، مشوشة، حتى ليظن الرائي أن شخصاً أتلفها بكثرة التدليك أثناء غسل وجهه.
- ◆ فراسة الأجسام والأمراض: كان "أبو قراط" قد أعلن نظرية مؤداها أن هناك أمراضاً معينة تتعرض لها أجسام معينة أكثر من غيرها. وقامت هذه النظرية على براهين قوية، من ذلك مثلاً:
- ◆ أصحاب الصدور النحيفة الضيقة، معرضون أكثر للإصابة بالسل، وذات الرئة، وسوء الهضم، واختلال الذهن.
- ◆ أصحاب الصدور الواسعة العريضة والبنيان الضخم، معرضون أكثر للبول السكري، والاستسقاء، والسكتة الدماغية، والتهاب الكليتين، وأمراض القلب، والمرارة.

وفي عام ١٩٢٦ قدم "آرنست كريتشمر" نظرية مؤداها أن للأمراض العقلية والنفسية علاقة بأنماط أجسام محددة، منها أن:

- ◆ مرض الشيزوفرانيا يميل إلى مباغثة الشخص الهزيل.
- ◆ الاكتئاب والهياج يميلان إلى إصابة الشخص البدني.

أيد نظرية كريتشمر عدد كبير من المعنيين في مختلف بلاد العالم، وقدموا أدلة إضافية تؤيد وجهة نظره، لكنه لم يعد فئة قليلة تعارضه. وقامت صعوبات كثيرة في اتباع طرق البحث التي تحاول استنباط مضامين من الخصائص البدنية للإنسان. إحدى هذه الصعوبات، هي أن مختلف العلماء مالوا إلى ابتداء مصطلحات مختلفة في وصف أنماط الأجسام، وإن كانت جميعها لا تخرج عن ثلاثة أوصاف بسيطة هي: نحيف، وعادي، وبدني.

حظيت مختلف النظريات بأبحاث مطولة، جعلت من العسير تلخيصها، لكنها في مجملها ساقت أدلة على أن الشخص البدين أفضل من النحيف في الوظائف التي تتطلب أعمالاً يدوية أو عضلية، لكنه من ناحية أخرى:

- ◆ أقل قابلية للتعليم.
- ◆ أكثر عرضة للأمراض.
- ◆ أقل رغبة في النزاع، وأقل لا مبالة.
- ◆ أقل تعرضاً للهواجس. والانفعال.
- ◆ أقل عرضة للصداع، وسوء الهضم.
- ◆ لا يتهاون على الزواج.



الفراسة علم وفن



لا جدال في أن الفراسة علم وضع العلماء قوانينه وقواعده بالملاحظة والتجريب جيلاً بعد جيل من غابر العصور. ولا خلاف في إمكان الاستدلال على أخلاق الناس وأحوالهم من النظر إلى ظواهرهم. إنك حينما تلتقي برجل لأول مرة، تتفرّس فيه خاصة الوجه. تحكم عليه بالصحة أو المرض، الشجاعة أو الجبن، الطيبة أو الخبيث، مستدلاً على ذلك بمامته، وتكوين جمجمته، وتعبيرات وجهه وغير ذلك من الحركات، والإشارات. قد تصدر أحكامك هذه عن علم المبادئ التي استقيتها من حصاد ما جمعه علماء الفراسة وربوه، وبوبوه، وأيدوه بالحقائق الطبيعية أو العقلية. وقد تتبادر تلك الأحكام الصائبة إلى ذهنك بوحى الخاطر، وأنت في الحالة الأولى تتصرف عن علم، وفي الحالة الثانية عن استعداد فطري وموهبة من جملة مواهب الفنون كالشعر والرسم وغيرها.

والفراسة معترف بها من جميع الأديان. فقد قال تعالى في كتابه الحكيم: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

وقال ﷺ: "اتقوا فراسة المؤمن" (١) و"اطلبوا الخير عند أصحاب الوجوه" (٢).

(١) أخرجه الترمذي كتاب التفسير عند سورة الحجر رقم "٣١٢٧" وقال غريب .

(٢) ابن عساکر عن عائشة رضي الله عنها .